فساد المعنى واثره في توجيه الاعراب

أ.د. محيي الدين توفيق ابراهيم*

مما أصبح مسلما بـه في النحو العربي أن للحركات الاعرابية وظائف تتحدد بموجبها مكونات الجملة العربية، ومن ثم تؤثر في المعنى العام للجملة. فقد تبين ان الضمة وما ينوب عنها علم الاسناد، وان الكسرة علم الاضافة المباشرة وغير المباشرة. واما الفتحة فهي لما عدا ذلك أولما لا يصلح أن يكون مرفوعا أومجرورا. وعلى الرغم من ان دعوى قطرب أن الحركات ليست دلالات على المعاني ، بل هي وصل لربط الكلم قد شغلت حيزا لابأس به من الدراسات النحوية قديما وحديثا، الا أن نتائج البحث الدقيق قد أظهرت أن دعواه هذه وما تبعها من أقوال لطائفة من الدارسين المحدثين وأغلب المستشرقين، مخالفة للواقع اللغوي الذي ظهر عند تدوين اللغة العربية، ودراسة قواعدها منذ زمن أبي الاسود وحتى يومنا هذا [1]. بل إن دراسة النقوش العربية التي تعود لما قبل الاسلام قد أظهرت أن الضمة كانت تكتب بالواو. وكذلك ما توصل اليه علماء اللغات المسماة بالسامية من أن بعضها كاللغة الاكدية كانت معربة اعرابا قريبا من اعراب العربية. ولا شك ان النص القرآني الذي احتفظ برسمه، يزيد في الدلائل على صحة هذه النتيجة. فالالفاظ التي تعرب بالحروف نيابة عن الحركات قد حافظت على رسمها بالطريقة التي تثبت ان الواو مثلا في جمع المذكر السالم تثبت عندما يكون هذا الجمع مرفوعا، وان الياء تثبت عندما يكون منصوبا ومجرورا، وهذا القول يصح على الاسماء المثناة والاسماء الستة في حالة الاضافة الى غير ضمير المتكلم، والافعال الخمسة. وقد وقف العلماء وقفات طويلة عندما راوا ان بعض هذه الاسماء حدث في رسمها ما يخالف واقعها الاعرابي كلفظة (المقيمين) في قوله تعالى: " لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الاخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما " [2]. التي رسمت بالياء مع انها معطوفة على مرفوع وكان ظاهر الاعراب يقتضي أن ترسم بالواو. ولفظة (الصابئون) في قوله تعالى: " ان الذين أمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من أمن

* استاذ ورئيس قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة الموصل

بالله واليوم الآاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون " [٣]، التي رسمت بالواو، وهي معطوفة على منصوب. وكذلك بقاء اسم الاشارة الدال على الاثنين في قوله تعالى: " ان هذان لساحران " [٤]، بالالف مع انه في موضع النصب لانه أسم إن. حتى ان عائشة رضي الله عنها نسبت ذلك الى خطأ الكاتب " [٥].فهذا كله يستدل به على ان الحركات وما ينوب عنها لم تكن كما زعم قطرب والذين شايعوه وصلا لربط الكلم بعضه ببعض. وفي دراسة حديثة أثبت المستشرق (مايكل كارتر) أنه حيثما امتنعت الاضافة ووجب التنوين او إثبات النون كان الاسم بعد ذلك منصوبا، وقد أطلق على هذه الظاهرة الاعرابية تنوين النصب [٦].

وينبغي التنبيه هنا على ان المقصود بأن الحركات تدل على المعاني ، ان المراد هو المعانى النحوية ، أعني كون الأسم فاعلا أو مفعولا او مبتدأ او مضافا اليه . وليس المقصود المعانى الدلالية او المعانى التركيبية المتحصلة من مجمل الكلام.

فالاعراب اذن دليل على المعاني العامة، ولذلك صح في الجملة العربية ان يتقدم المفعول على الفاعل مع ان الترتيب فيها أن يكون الفاعل الاول، ذلك لأن الرفع بالضمة أو ما ينوب عنها يميز الفاعل من المفعول الذي ينصب بالفتحة أو بما ينوب عنها. فلذلك لايصح هذا التقديم والتاخير اذا لم يؤمن اللبس، وقد مثل أبن جني على هذا بنحو: ضرب يحيى بشرى) [٧]، لأن الاعراب لايظهر على الالف التي ينتهي بها اسماهما. فأن أمن اللبس من حيث المعنى جاز وذلك نحو: أكل يحيى كمثرى.

غير أن مرونة الجملة العربية ووجود اسماء لاتظهر عليها علامات الاعراب بسبب اعتلال اواخرها، أو لانها من المبنيات قد أدى الى ما يسمى في النحو العربي بالاحتمالات الاعرابية. واكثر ما يكون ذلك حين يختلف على المعنى العام الذي تؤديه الجملة. ومن المعروف ان المعاني التي تنشأ عن كلام المتكلم تختلف باختلاف المتلقي ومقدرته على الفهم والاستيعاب. وهذا انما يحدث في النصوص الادبية الراقية، ومنها النص القرآني الكريم، ومنها يتحصل لدينا ظاهرة معكوسة في النحو العربي : فبدلا من ان تكون العلامات الاعرابية دليلا على المعاني العامة، يصبح المعنى مؤثرا في الاعراب

ومحددا له ، او في الاقل يكون المعنى محددا لأحد الوجوه الاعرابية ومانعا للوجه الاخر.

ومن امثلة هذا قول أمرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال

فقد يتبادر الى الذهن اول وهلة انه من باب التنازع، أي ان (قليل) يمكن رفعه اعتبارا بانه فاعل للفعل (كفى) ويكون مفعول اطلب مقدرا، وإنه منصوب على انه مفعول لأطلب، ويكون فاعل (كفى) مقدرا. وليس الامر كذلك لان نصب قليل بالفعل اطلب يؤدي الى فساد المعنى كما يقول سيبويه، لانه لم ينصب " لانه لم يجعل القليل مطلوبا وانما كان المطلوب عنده الملك وجعل القليل كافيا، ولو لم يرد ذلك ونصب فسد المعنى " [٨]. ورد ابن هشام توجيه ابن الحاجب لهذا البيت على ان الواو في (ولم اطلب) حاليه ، فيكون البيت كما قال طائفه من النحاة من باب التنازع، قال : " المعنى حينئذ لو ثبت اني اسعى لادنى معيشة لكفاني القليل في حالة اني غير طالب له، فيكون انتفاء كفاية القليل المقيدة بعدم طلبه موقوفا على طلبه له فيتوقف عدم الشئ على وجوده " [٩].

والحقيقة ان لدينا نصوصا كثيرة يتحكم المعنى فيها في التوجيه الاعرابي، وفيما يأتي نماذج من هذه النصوص:

أ ـ مما جاء مرفوعا، ويحتمل ان يكون له اكثر من رافع في الجملة.

ا ـ قوله تعالى: " وهوالذي في السماء اله وفي الارض اله " [١٠]، يحتمل (اله) من حيث الصنعة الاعرابية اوجه هي :

أ ـ ان يكون مبتدأ مؤخرا، والجارو المجرور خبرا مقدما.

ب ـ ان يكون فاعلا للجار والمجرور او للفعل الذي يتعلق به الجار والمجرور.

جـ ـ ان يكون خبرا لمبتدأ محذوف التقدير هو في السماء اله، ويكون الجار والمجرور متعلقان بـ (اله) على ان تأويله بوصف، فيصبح المعنى وهو الذي في السماء معبود، وفي الارض معبود. وقد منع ابن هشام الاحتمالين الاول والثاني لأن الصلة تكون منهما خالية من الضمير العائد وهو شرط في وقوع الجملة صلة للموصول. ولأن حمل الجملة الثانية

على الاستئناف يؤدي الى فساد المعنى، إذ يكون إن في الأرض إله غير الذي في السماء[11]. ومنع إبن هشام إحتمالا آخروهوأن يعرب (إله) بدلامن الضمير المقدرفي الجاروالمجرور، واعتبار الجار والمجرور صلة الموصول لانه تقدير بعيد، والبعد في التقدير لا يلجأ اليه الافي الضرورة فيتحصل بذلك اعراب واحد، وهو ان يكون (اله) خبر للضمير المحذوف المبتدأ، والجاروالمجرور متعلقان بالخبر الـه. وهذا التعلق جائز وان كانت لفظة (اله) جامدة لانها مؤولة بالمشتق، فيصبح المعنى وهو الذي هو معبود في السماء ومعبود في الارض، وهو توجيه الزمخشري [12].

٢ ـ قوله تعالى: " فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا تخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب " [13]، قرئت وجنات بالرفع والنصب [14]. وأجاز الزمخشري في الرفع ان يكون معطوفا على (قنوان) [15]. وهذا الاعراب مفسد للمعنى لانه كما يقول ابن هشام " يقتضي ان جنات الاعناب تخرج من طلع النخل " [16]. والصحيح عند ابن هشام ان يكون مبتدأ خبره محذوف أي وهناك جنات او ولهم جنات، وهو الاحتمال الثاني عند الزمخشري حين قدره وثم جنات.

ب ـ ما يحتمل الرفع والنصب واحدهما يفسد المعنى، مثله قول امرئ القيس الانف الذكر فان نصب (قليل) كما ذكرنا يفسد المعنى، وعكسه قول الحريري:

أظلوم ان مصابكم رجلا ... رد السلام تحية ظلم

اختلف في اعراب (رجل) فقال اليزيدي وجماعة انه مرفوع خبرا لإن، واعربه المازني وسائر النحويين بالنصب مفعولا لاسم المصدر (مصابكم) وخبر(إن) هو (ظلم) أي ان اصابتكم رجلا بهذه الصفة ظلم. والاعراب الاول مفسد لمعنى البيت بل لايتحقق فيه أي معنى له [17]، وهو مشهور في كتب النحو والادب.

جـ ـ ومما جاء منصوبا ويحتمل ان يكون له اكثر من ناصب في الجملة:

١ ـ قوله تعالى : " فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من إغترف غرفة " [18]، الاستثناء من الجملة الاولى أي من قوله تعالى (فمن شرب منه) ، وهو رخصة لمن يغترف غرفة واحدة بيده [19]. واما ان يكون الاستثناء من الجملة الثانية

(ومن لم يطعمه) فانه يفسد المعنى، لان المعنى يصبح حينئذ ومن لم يطعمه فليس مني الا من اغترف غرفة بيده ولذلك وهم ابن هشام أبا البقاء العكبري الذي زعم انه إستثناء من الجملة الثانية [٢٠].

٢ ـ وقوله تعالى : " الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما " [٢١]، موضع (قيما) من الاعراب ان يكون حالا من الكتاب ناصبه الفعل انزل، واحسن من هذا الاعراب عند الزمخشري ان ينتصب بفعل محذوف ولا يجعل حالا من الكتاب لئلا يحدث الفصل بين الحال وصاحبها ببعض الصلة الذي هو جملة (ولم يجعل له عوجا) المعطوفة على جملة (أنزل) [٢٢]. والنحويون لايجيزون مثل هذا الفصل. وهذا الموضع في القرآن الكريم من مواضع (السكت) التي يلتزم فيها الوقوف وقفة خفيفة قبل استئناف القرآءة خشية ان يحدث التباس بدمج اللفظتين في المعنى او في اللفظ. وهنا يلتزم السكت لئلا يتوهم ان قيما من تمام جملة لم يجعل، ومثل هذا الاعراب يفسد المعنى. وقد ذكر ابن هشام [٢٣] ان بعضهم اعرب (قيما) صفة لعوجا ومعنى هذا ان يكون العوج قيما، وأحدهما يناقض الاخر. وهذا غاية في فساد المعنى.

٣ ـ وقوله تعالى : " فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة " [٢٤]. اعرب الزمخشري هذه الاية على ان الهة هو المفعول الثاني للفعل اتخذ، والمفعول الاول ضمير محذوف، و(قربانا) حال على معنى اتخذوهم الهة يتقربون بهم الى الله ومنع ان يكون (قربانا) مفعولا ثانيا و(الهة) بدلا منه لفساد المعنى [٢٥]. وعلل ابن هشام فساده بانه يذمهم ان يتخذوا هذه الالهة قربانا الى الله فكأنهم أمروا ان يتخذوا الله تعالى قربانا وذلك لانك اذا انكرت على احد بقولك (أتتخذ فلانا معلما دوني ؟) فقد أمرته ان يتخذك معلما ، والله سبحانه وتعالى لايتقرب به الي غيره بل يتقرب اليه بغيره [٢٦].

٤ ـ ومن ذلك موقع المصدر المؤول من الاعراب في قوله تعالى : " أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء " [٢٧]، فظاهره ان يكون (ان نفعل) في موضع النصب معطوفة على (ان نترك) غير ان هذا الاعراب يفسد المعنى ، لانه ليس المقصود ان يامرهم ان يفعلوا ما يشاؤون، بل المقصود هو انه يامرهم بترك ما

يعبدون وترك فعل ما يشاؤون.والاعراب الصحيح ان يكون (ان نفعل) معطوفا على ما يعبد. والمهم للاعراب الاول المفسد للمعنى هو وجود مصدرين مؤولين (ان نترك) و(ان نفعل) وبينهما حرف العطف (او) [٢٨].

د ـ بين المنصوب والمجرور، ومنه قوله تعالى: " ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين " [٢٩]قرئت بتنوين [٣٠] مائة، واعرب الاخفش [٣١] سنين على هذه القراءة منصوبة بدلا من ثلاث او مجرورة بدلا من مائه. واعرابها بدلا من مائة يفسد المعنى [٣٢]، لان البدل يصح فيه ان يقع موقع المبدل منه، فيصبح المعنى على هذا التوجيه الاعرابي ولبثوا في كهفهم ثلاث سنين، وهوفاسد كما ترى.

هـ ـ في اعراب الفعل ، منه قول الشاعر:

غير أنا لم تأتنا بيقين فنرجي ونكثر التأميلا

يمتنع فيه نصب الفعل (نرجي) او جزمه وان اقترن بالفاء بعد النفي، بل يجب فيه الرفع على الاستئناف، لان النصب بعد الفاء يعني ان يكون ما بعدها مسببا عما قبلها والجزم يعني انه معطوف على (تأتنا) المجزوم بلم. وانما المعنى كما يقول ابن هشام: " انه لم يأت باليقين فنحن نرجو خلاف ما اتى به لانتقاء اليقين عما اتي به " [٣٣]. فالنصب والجزم في هذا الفعل يفسد المعنى. وهذا يعني انه ليس كل فعل يقترن بالفاء بعد النفي ينصب على انها فاء السببية الناصبة للفعل بنفسها عند الكوفيين وباضمار ان عند البصريين، بل لابد من استقامة المعنى بان يكون ما بعدها مسببا عما قبلها كما في قوله تعالى: " لايقضي عليهم فيموتوا " [٣٤].

٢ ـ وقول الشاعر:

لن ما رايت أبا يزيد مقاتلا أدع القتال واشهد الهيجاء

فقد يتوهم الناظر في هذا البيت أول وهلة أن الفعلين (ادع) و(اشهد) متعاطفين لانهما منصوبان، وهذا الاعراب مفسد للمعنى، لان كون (اشهد) معطوفا على (ادع) يعني أنه منصوب باداة النصب (لن) الواقعة في اول البيت، والمعنى يصبح عندئذ أنى لما رأيت أبا يزيد مقاتلا لن أدع القتال ولن أشهد الهيجاء، وهو تناقض واضح. والصحيح أن يعرب

(اشهد) منصوبابان المحذوفة، والتقدير لن أدع القتال وان أشهد الهيجـاء، فيكـون المصـدر المؤول معطوفا على (القتال) الواقع مفعولا به للفعل (ادع) وهذا توجيه ابن هشام للبيت، وهو كقول ميسون:

ولبس عباءة وتقر عيني أحب الي من لبس الشفوف [٣٥]

٣ ـ منع جمهور النحويين فـي قولهم (لاتدن مـن الاسـد يـأكلك) الجـزم فـي الفعـل الثـاني (يأكلك) وأجازوه في نحو (لاتدن من الاسد تسلم)[٣٦]، ذلـك ان الفعـل الثـاني مسبب عـن الاول، او كما يؤوله النحويون بشرط مقدر. والقاعدة عندهم ان **توضـع إن الشـرطية قبـل لاالناهية، فإن إستقام المعنى فيجـزم الفعـل الثـاني، وإلا يرفـع ويمنـع جزمـه.وفـي الجملـة الاولى يفسد المعنى ان قدر ان لاتدن من الاسد يأكلك ويستقيم ان لاتدن من الاسد تسلم . على ان الكسائي يجيز الجزم مستدلا بالقرينة المعنوية ترجيحا لهـا علـى القرينـة اللفظيـة.** وقد استحسن ابن هشام هذا الوجه شرط ان يكون المنعى مفهوما [٣٧].

و ـ ما يتعلق به الظرف والجار والمجرور. فمن الظرف قول الشاعر:

تركت بنا لوحا، ولو شئت جادنا بعيد الكرى ثلج بكرمان ناصح

فان بعيد الكرى ينبغي ان يكون ظرفا لثلج لما فيه معنى البرودة ، والمقصود به الريق. ويفسد المعنى ان قدر انه ظرف للفعل (جاد) . واللوح هنـا العطـش ويصبح معنـى البيـت على التقدير الصحيح انك تركتنا عطاشا ولو شئت لجادنا منك ريق يكون باردا عقب النوم فكيف يكون في غير ذلك من الاوقات؟ .

٢ ـ وقوله تعالى: " فلما بلغ منه السعي " [٣٨] الاية تخـص ابراهيم عليـه السـلام، والايـة التي قبلها هي " فبشرناه بغلام حليم ". فـلا يصـح ان يكـون الظـرف أو الجـار والمجـرور معه متعلقا بالفعل (بلغ) لان الاب والابن لا يبلغان السعي لطلب المعيشـة فـي وقـت واحـد **ومنع النحويون تعلقه بالسعي، لان المعنى يكون عند ئذ فلما بلغ ان يسـعيا معـا، فـالمعنى هنـا غـير مستقيم. ولان النحويين منعـوا ان يتقدم متعلـق المصـدر عليـه، ولذلـك وجهـه الزمخشري على الاستئناف البياني ، قال: " كأنه لما قال فلمـا بلـغ السـعي أي الحد الـذي يقدر فيه على السعي قيل مـع مـن؟ فقال مـع ابيه " [٣٩]. والحقيقـة ان في هذا التوجيـه**

اشكالا، فالاستئناف البياني قد حصل على هذا التقدير قبل ان يستوفي الفعل (بلغ) مفعوله.

٣ ـ وقوله تعالى: " الم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم " [٤٠]، لايصح ان تكون (إذ) ظرفا لفعل الرؤية، لان المخاطب هو الرسول (ص) ، ولأنه لم ينته علمه او نظره اليهم في ذلك الوقت. ويرى إبن هشام إن (إذ) متعلقة بمضاف محذوف، والتقدير الم ترى الى قصتهم او خبرهم [٤١].

٤ ـ وقوله تعالى: " ان الذين كفروا ينادون لمقت' الله اكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون الى الايمان فتكفرون " [٤٢]، لايصح ان تعرب (إذ) ظرفا متعلقا بالمقت الاول ولا بالمقت الثاني. أما تعلقها بالمقت الثاني فهو مفسد للمعنى ، لان مقتهم لانفسهم يحدث في الاخرة وليس في الحياة الاولى بسبب جرمهم فيها وقد منع ابن جني وتابعه إبن هشام أن تتعلق (إذ) بالمقت الاول وهو إعراب الزمخشري وجماعة [٤٣]، لافساد المعنى، بل لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبي. وعندهما انه متعلق بمحذوف أي مقتكم إذ تدعون [٤٤].

ومن الجار والمجرور قوله تعالى: " أكان للناس عجبا أن اوحينا الى رجل منهم أن انذر الناس " [٤٥]. فقد اختلف في متعلق الجار والمجرور (للناس) أهو الفعل الناقص (كان) أم المصدر الصريح (عجبا) الواقع خبرا لكان أم الفعل (أوحينا)؟ والذي يهمنا هنا امتناع تعلقه بالفعل اوحينا، لان المعنى عندئذ يفسد [٤٦]. وعلة ذلك ان الوحي لايكون للناس جميعا ، فالجار والمجرور للناس متعلقان في اصح الاقوال بالمصدر الصريح (عجبا) إذ اعرب خبرا لكان، أو بما يتعلق به هذا المصدر على حد قول الشاعر:

لمية موحشا طلل' يلوح كأنه خلل'

٢ ـ وقوله تعالى: " وإني خفت الموالي من ورائي " [٤٧] فالجار والمجرور (من ورائي) متعلقان بالموالى لما فيه معنى الولاية، أي خفت' ولايتهم من بعدي وسوء خلافتهم، وقد يكون المعنى أني خفت الموالي كائنين من ورائي فيتعلق الجار والمجرور بالحال المقدرة على هذا المعنى، أو على تقدير مضاف محذوف أي فعل الموالي من ورائي. كل ذلك أجازه إبن هشام [٤٨]. أما ان يكونا متعلقين بالفعل خفت فهذا يفسد المعنى.

٣ - وقوله تعالى: " ولاتسأموا أن تكتبوه صغيرا او كبيرا إلى أجله " [٤٩]. فإن قوله (إلى أجله) حال أي مستقرا الى اجله. ولا يصح ان يتعلق بتكتبوه، لان المعنى حينئذ يؤدي الى وجوب استمرار الكتابه الى انقضاء الدين وهذا معنى فاسد [٥٠].

٤ - وقوله تعالى: " يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف " [٥١]، فإن متعلق الجار والمجرور هو الفعل يحسب، ومن للتعليل ولايجوز أن تتعلق باغنياء، لانهم متى ظنهم ظان أغنياء بسبب التعفف علم انهم فقراء، وهذا المعنى فاسد لان المعنى هو ان الجاهل بشأنهم يحسبهم بسبب تعففهم أغنياء. هذا ما رآه أبن هشام [٥٢]. ولكن الزمجشري يذهب الى ان المعنى انهم مستغنون عن المساله بسبب تعففهم [٥٣].

٥ - وقول أبن دريد في مقصورته:

أن امرء القيس جرى إلى مدى فاعتاقه حمامه' دون المدى

قد يتوهم ان (الى مدى) متعلق بالفعل (جرى)، وهذا الاعراب يفسد المعنى، لان جريه لم يتم الى مداه، او بمعنى اخر لاتصلح ان تكون (الى) غاية للجرى. بل هي غاية للقصد. فيكون الجار والمجرور متعلقين بحال محذوفة، والمعنى جرى قاصدا الى مدى أوطالبا الى مدى بدليل قوله في الشطر الثاني (فاعتاقه حمامه دون المدى) [٥٤].

٦ - وقول أبن دريديصف الحاج:

ينوي التى فضلها رب العلى لما دحا تربتها على البنى

في البيت فعلان هما (فضلها) و(دحا) اختلف في اعراب (من)، وللنحويين فيها ثلاثة إحتمالات:

ا ـ ان تكون (من) بدلا من (الناس) بدل بعض من كل، فيصبح المعنى ولله على الناس على المستطيع منهم حج البيت. وهذا هو الاعراب المشهور لدى النحويين، وفيه يتحقق وجوب

الحج على المستطيع دون سائر الناس.

ب ـ واجاز الكسائي ان تكون (من) مبتدأ، فخبرها محذوف إن كانت موصولة. اما ان كانت شرطية فجوابها محذوف [٥٧].

جـ ـ واعربهل ابن السيد البطليوسي فاعلا للمصدر (حج). وقد رد هذا الاعراب لانه يفسد المعنى فيوجب حج المستطيع على جميع الناس، وبكلمة أخرى ان الناس يأثمون جميعا إذا لم يحج مستطيعهم، وضعف ايضا من جهة صناعة الاعراب لانه يأتي بالفاعل بعد اضافة المصدر الى مفعوله على زعم ان هذا شاذ ولايكون الافي الضرورة.

والحقيقة ليست كذلك لانه وارد في النثر، ومنه الحديث : " وحج البيت من استطاع اليه سبيلا " [٥٨] وقد ورد في القرآن الكريم بقراءة حفص قوله تعالى: " قتل اولادهم شركاؤهم " [٥٩] غير ان حمل اية آل عمران عليه يفسد المعنى كما ذكرنا، لانه يؤدي الى وجوب الحج على جميع الناس، فإذا لم يحج مستطعهم أثموا.

٢ ـ وقوله تعالى: " وإذا كالوهم او وزنوهم يخسرون " [٦٠]. ذكرابن هشام ان بعض النحويين اعرب الضمير (هم) في (كالوهم)، و(وزنوهم) ضمير رفع مؤكد للواو فيهما، او مبتدا وما بعده خبره. وقد رد كلا الاعرابين بان رسم المصحف لم يفصل بين الواو والضمير فيهما بالالف، وبان المعنى يتنافر إذا عاد الضمير فيهما الى المطففين. والصواب انه عائد الى الناس ، لان عوده الى المطففين يجعل المعنى انهم اذا اخذوا استوفوا، وإذا تولوا الكيل أو الوزن أخسروا. قال ابن هشام: " وهو كلام متنافر لان الحديث في الفعل لافي المباشر " [٦١]، اى ان الويل للمطففين الذين يفعلون هذا الفعل.

ح ـ في اعراب الجمل، منه قوله تعالى: " وحفظا من كل شيطان مارد لايسمعون الى الملأ الأعلى " [٦٢]، فإن (لايسمعون) لاتصلح أن تكون صفة لشيطان باعتباره نكرة، ولاحالا منه باعتباره نكره مخصصة بالوصف وهو قوله (مارد) لان ذلك يفسد المعنى.

(حلت) المذكور [٧١]. وقد نص ابن جني في باب (شجاعة العربية) على ان هذا الاعراب لحن، وان كان المعنى عليه لانه يؤدي الى الفصل بين بعض اجزاء جملة الصلة، لان مجيء البدل يؤذن بتمامها [٧٢].

فالجملة عنده على هذا الاعراب تفسد صياغتها، وتصبح كقولهم مررت بالضارب زيد جعفرا، مما لايصلح في العربية معنى ولاصياغة. ولذلك اعرب ابن جني دارها مفعولا لفعل اخر. والنحويون يلجأون الى مثل هذا التقدير كلما وقعت اعينهم على موضع يخالف قواعد الاعراب وثوابت النحو العربي.

ومثل هذا قول الكميت في ناقته:

كذلك تيك وكالناظرات صواحبهاما يرى المسحل

ومعناه كالناظرات ما يرى المسحل (الحمار الوحشي) صواحبها. فلا يصلح ان يكون الاسم الموصول (ما) مفعولا للناظرات لما يرتكب فيه من فصل قبيح، ولذلك يقدر فعلا محذوفا أي كالناظرات صواحبها ينظرن ما يرى المسحل [٧٣]. وقد أورد ابن جني امثلة اخرى لما يجب ان يجرى فيه الاعراب على قواعد النحو مع الحفاظ على المعنى [٧٤].

واذا كان القصد من الاعراب التعرف على مكونات الجملة الاساسية وغير الاساسية كي ياخذ كل جزء ما يستحق من العلامات، فان هذا لايمكن تحقيقه الابمعرفة معناها. ولذلك كان من اول لوازم الاعراب معرفة معنى مايعرب مفردا كان او مركبا كما يقول ابن هشام [٧٥]. والمقصود معرفة دلالة الالفاظ ومعرفة المعنى العام للاية او البيت او المثل وغير ذلك مما يتصدى له المعربون. ولذلك أبى ابن هشام أن يعرب لفظة (حقلد) في بيت زهير:

تقي نقي لم يكثر غنيمة بنهكه ذى قربى ولا بحقلد

قبل ان يعرف معنى (حقلد). فلما عرف ان معناه سيئ الخلق قال: " هو معطوف على شيء متوهم، اذ المعنى ليس بمكثر غنيمة " [٧٦] وليس بحقلد.

وهذا يقودنا الى القول بان المعرب الحقيقي هو المتكلم، لانه يصوغ كلامه ويجري كلماته حسبما يعتمل في ذهنه من معان يريد ان يوصلها الى المخاطب او

المتلقي. فالجملة في حقيقة الامر كلمات صيغت على سني ثابت يتعلمه ابناء اللغة منذ سن الطفولة الاولى، وتعبر عن معان في نفس المتكلم. وقد توصل المستشرق (مايكل كارتر) الى انه " يمكن الافتراض في نهاية الامر ان المتكلم يكون دائما هو المحرك الرئيس في كل عملية نحوية، وان سيبويه كان مدركا لذلك تماما، الا ان النحوي قد يكون معذورا اذا ركز اهتمامه على سلوك الجملة بدلا من سلوك المتكلمين، لذلك نجد في الكتاب مجموعه كاملة من المصطلحات تخص عمل العناصر اللغوية ضمن الجمل، أما عندما يكون المتكلم هو العامل فلا نجد الا الجزء المعمول فيه من الجملة يشار اليه بمصطلح معين " (٧٧). وهذه النتيجه التي يعرضها كارتر لما يفهمه من كتاب سيبويه قد توصل اليها ابن جني ايضا، فهو اول من نص على ان المتكلم هو العامل الحقيقي، ولذلك تكون الالفاظ عنده خدم للمعاني(٧٨)، واذا كانت خدما للمعاني فانها تجري مجراها وتزول الى ما ينبغي ان تعبر عنه. واذا طبقنا ذلك على الاجزاء الاساسية في الجملة وغير الاساسية تكون المعاني هي الموجهه لاعراب تلك الالفاظ فيصبح الفاعل مرفوعا، وكذلك المبتدأ و الخبر ويجر المضاف اليه المباشر وغير المباشر وينصب ما عدا ذلك. وان أي تغيير لهذه العلامات يرد الى تغيير المعنى العام للجملة وقد يؤدي الى معنى غير مقبول، وقد عبر عن ذلك النحاة بفساد المعنى وهو مصطلح تداوله النحاة منذ سيبويه على نحو ما بيننا في هذا البحث. على ان التغيير في العلامات قد يحدث بسبب التوهم ، وهذا ايضا مصطلح تحدث عنه النحاة. ومن امثلته قول زهير :

بدا لي اني لست' مدرك ما مضى ولاسابق شيئا إذا كان جائيا

فقد جر(سابق) مع انه ينبغي ان يكون منصوبا لانه معطوف على خبر ليس (مدرك). وانما حدث ذلك لان الشاعر توهم ان خبر (ليس) هنا مجرور بالباء وهو كثير فيه، فكأنما قد قال لست' بمدرك فقال ولا سابق على تقدير ولا بسابق، ومثله قول الاخر:

ماالحازم الشهم مقداما ولابطل إن لم يكن للهوى بالحق غلابا

فجر (بطل) توهما كما بينا في البيت السابق. وهذا النوع من التوهم مقبول عند النحاة لان خبر ليس وخبر كان المنفية يكثر فيهما الجر بالباء الزائدة، لذلك لم يستحسنوا هذا التوهم

في خبر كان المثبت كما في قول الشاعر:

وما كنت ذا نيرب فيهم ولا منمش فيهم منمل [٧٩]

فجر (منمش) و(منمل) على هذا التوهم مع ان كان هنا مثبته وغير منفية[٨٠]. وظاهرة التوهم هذه من اقوى الادلة على ان المتكلم يجري الحركات الاعرابية وفقا للمعنى الذي يريده، ولذلك قال الزجاجي: " إن الاعراب عرض داخل في الكلام لمعنى يوجده ويدل عليه". والكلام إذا سابقه في المرتبه والاعراب تابع من توابعه [٨١]، وبكلمة اخرى ان المتكلم هو العامل الحقيقي كما يقول ابن جني، وكما يفهم من كلام سيبويه على نحو ما بينا انفا. ولذلك فان ابدال الحركات بعضها ببعض يغير المعنى الذي يريده المتكلم وقد يفسده او يجرده من أي معنى.

الهـــوامـــش:

(١) ينظر للتوسع في معرفة رأي قطرب الايضاح في علل النحو للزجاجي ص٧٠ الذي نقل عنه ردا مفصلا على مذهب غيره من النحويين في ان الحركات دلائل على المعاني، وزعم انه لو كان هذا صحيحا لما وجدنا في الكلام اسماء متفقه في الاعراب مختلفة في المعاني، كقولهم : ان زيدا اخوك، ولعل زيدا اخوك، وكان زيدا اخوك. ولا اسماء مختلفة الاعراب متفقة المعاني كقولهم: مازيد قائما، وما زيدٌ قائم وغير ذلك. ونقل عنه ايضا ان العرب تقف بالسكون، ولو وصلوا بالسكون لكان يلزمهم الاسكان في الوقف والوصل.

(٢) النساء /١٦٢.

(٣) المائدة / ٦٩.

(٤) طه / ٦٣.

(٥) تأويل شكل القرآن ٢٥.

(٦) ينظر مقالته :عشرون درهمافي كتاب سيبويه مجلة المورد العدد ١ مجلد ١٦ سنة١٩٨٧ ص١١٩.

(٧) الخصائص ١/ ٣٥.

(٨) الكتاب ١/ ٧٩.

(٩) مغني اللبيب ٢/ ٥٠٩.

(١٠) الزخرف/ ٨٤.

(١١) مغني اللبيب ٢/٤٣٤.

(١٢) الكشاف ٣/ ١٠٤.

(١٣) الانعام/ ٩٣.

(١٤) الكشاف ١/ ٥٢٠.

(١٥) المصدر السابق، نفس الموضع.

(١٦) المغني ٢/ ٥٣٥.

(١٧) مغني اللبيب ٢/ ٥٣٩.

(١٨) البقرة / ٢٤٩.

(١٩) الكشاف ١/٢٨٩.

(٢٠) ينظر المغني ٢/ ٥٣٣.

(٢١) الكهف ٢،١.

(٢٢) الكشاف ٢/ ٢٥٠.

(٢٣) المغني ٢/ ٥٣٤.

(٢٤) الاحقاف / ٢٨.

(٢٥) الكشاف ٣/ ١٢٤.

(٢٦) مغني اللبيب ٢/ ٥٣٧.

(٢٧) هود / ٨٧.

(٢٨) ينظر المغني ٢/ ٥٢٩.

(٢٩) الكهف / ٢٥.

(٣٠) قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم وابن عامر السبعة في القراءات ٣٨٩.

(٣١) معاني القرآن .

(٣٢) المغني ٢/ ٥٣٧.

(٣٣) المغني ٢/ ٤٨٠.

(٣٤) فاطر / ٦٣.

(٣٥) المغني ١/ ٢٨٣، ٢/ ٥٢٩، ٥٣٠.

(٣٦) ينظر ابن عقيل ٢/ ٣٥٦.

(٣٧) المغني ٢/ ٦٠٥.

(٣٨) الصافات / ١٠٢.

(٣٩) الكشاف ٢ / ٦٠٧.

(٤٠) البقرة / ٢٤٦.

(٤١) المغني ٢/ ٥٣٣.

(٤٢) غافر /١٠.

(٤٣) الكشاف ٣/

(٤٤) الخصائص ٢/ ٢٠١، والمغني ٢/ ٥٤٠، ٥٤١.

(٤٥) يونس /٢.

(٤٦) ينظر المغني ٢/ ٤٣٦.

(٤٧) مريم /٥.

(٤٨) المغني ٢/ ٥٣٠.

(٤٩) البقرة / ٢٨٣.

(٥٠) المغني ٢/ ٥٣٠.

(٥١) البقرة / ٢٧٣.

(٥٢) المغني ٢/ ٥٣٣.

(٥٣) الكشاف ١/ ٣٠١.

(٥٤) المغني ٢/ ٥٣٤.

(٥٥) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٥٦) ال عمران / ٩٤.

(٥٧) ينظر في هذا الاعراب مغني اللبيب ٢/ ٥٣٦، وشرح ابن عيقل ٢/ ١٠٣.

(٥٨) المغني ٢/ ٥٣٦.

(٥٩) الانعام /١٣٧.

(٦٠) المطففين /٢.

(٦١) المغني ٢/ ٥٩٦.

(٦٢) الصافات / ٧.

(٦٣) مغني اللبيب ٢/ ٣٨٣.

(٦٤) ينظر في توضيح هذا النوع من الاستئناف مغني اللبيب الموضع السابق.

(٦٥) مغني اللبيب ٢/ ٤١٥.

(٦٦) الخصائص ١/ ٢٨٣،٢٨٤.

(٦٧) الخصائص ٣/ ٢٥٥.

(٦٨) الطارق / ٨، ٩.

(٦٩) غافر / ١٠.

(٧٠) الخصائص ٣/ ٢٥٦.

(٧١) الخصائص ٣/ ٢٥٧.

(٧٢) الخصائص ٢/ ٤٠٢.

(٧٣) الخصائص ٢/ ٤٠٤، ٣/ ٢٥٧.

(٧٤) الخصائص ٣/ ٢٥٧ وما بعدها.

(٧٥) مغني اللبيب ٢/ ٥٢٧.

(٧٦) المغني ٢/ ٥٢٨،لايستقيم معنى البيت اذا اعرب بحقلد معطوفا على بنهكه لان المعطوف والمعطوف عليه يشتركان في الحكم. فلو كان معطوفا على بنهكة لكان المعنى لم يكثرغنيمة بنهكة ذي قربى ولم يكثرغنيمة بحقلد وهذا مفسد للمعنى، لذلك إفترض ابن هشام ان قوله لم يكثر يساوي ليس بمكثر فيصبح المعنى ليس بمكثر غنيمة بانتهاك ذي قربى وليس هو بحقلد أي سيء الخلق.

(٧٧) نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد، مجلة المورد المجلد العشرون العدد الاول ١٩٩٢ ص٣٥.

(٧٨) الخصائص ١/ ٢٢٠.

(٧٩) التيرب النميمة ، والمنمل الكثير النميمة، والمنمش المفسد ذات البين.

(٨٠) ينظر مغني اللبيب ٢/ ٤٧٦ وما بعدها ، وقد كتب احد الباحثين بحثا في ظاهرة التوهم هذه نشره في معهد اللغة العربية العدد ١ سنة ١٩٨٣ ص ٦٧ـ ١٠٣ ولم نستطع الاطلاع عليه للاسف. ينظر كشاف الدوريات العربية ١٨٧٦ـ ١٩٨٤، إعداد عبد الجبار عبد الرحمن ٢/ ٥٠.

(٨١) الايضاح في علل النحو ٦٧.

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الايضاح في علل النحو ــ لابي القاسم الزجاجي تحقيق دكتور / مازن المبارك ـ الطبعة الرابعة ـ دار النفائس ١٩٨٢.

٣ ـ تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة ـ المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة الطبعة الثالثة ١٩٨١.

٤ ـ الخصائص ـ أبن جني . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢.

٥ ـ السبعة في القراءات ـ أبن مجاهد تحقيق د. شوقي ضيف الطبعة الثالثة ــ دار المعارف مصر.

٦ ـ شرح أبن عقيل على ألفية أبن مالك ـ دار القلم بيروت ط ١٤.
٧ ـ الكتاب ـ سيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار القلم ١٩٦٦.
٨ ـ كشاف الدوريات العربية ١٨٧٦ ـ ١٩٨٤ إعداد عبد الجبار عبد الرحمن.
٩ ـ الكشاف ـ الزمخشري ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٤٨.
١٠ ـ مجلة المورد ـ المجلد ١٦ العدد الاول ١٩٨٧.
المجلد ٢٠ العدد الاول ١٩٩٢.
١١ ـ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ـ أبن هشام الانصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.